

٣٠٠٠ أغنية بين العاطفية والوطنية والفصحى والمحكية

نظمي عبد العزيز لـ «الوطن»: بوجود الرقابة الفاعلة في تقديم الكلمة الغنائية بنبي الحضارة وبغير ذلك تنتشر الطفيليات

| عامر فؤاد عامر



... ومكرماً



نظمي عبد العزيز مع الزميل عامر فؤاد عامر

«إننا أريدنا أن نتعرف إلى حضارة شعب؛ فلعينا أن نستمع إلى أغانيه وموسيقاه» كانت هذه هي الجملة التي بدأ بها حوارنا مع شاعر الأغنية السورية الفنان نظمي عبد العزيز، الذي أثرى الأغنية بأشعاره المميّزة، وحمل على أكتافه مسؤولية أن يكون للأغنية السورية هويتها الخاصة ووجودها بوضوح في الساحة الغنائية العربية، وهو أحد رواد هذه الأغنية فقد غنى له الكثير من الأسماء الكبيرة من الفنانين منهم: صباح فخري، والياس كرم، وسامير حلمي، ونجيب السراج، ومها الجابري، ووداد، وغيرهم من أبناء الجيل الجديد، وما يميز الفنان نظمي عبد العزيز أيضاً إضافة إلى مسيرته الحافلة بالذكريات والتجارب الغنية، أنه كتب قصائده بالفصحى والهجاء المحكية، وكتب في ألوانها العاطفية والدينية والوطنية والاستكشاثات وغيرها، واليوم لديه ديوان مطبوع من تلك الأغنيات والقصائد التي كتبها يحمل عنوان: «عنوان كل قصائدي عيناك» كما أنه يحضر مجموعة قصائد جديدة لتصدر في ديوان جديد آخر، وفي حوارنا عدنا إلى مجموعة من الذكريات التي قدمها لنا في علاقته مع المطربين الذين غنوا له والمطربين الذين التقاهم مثل صباح فخري والياس كرم وميادة الحناوي والسيدة فيروز وأم كلثوم وغيرهم. كما تطرقنا في الحوار إلى شعراء الأغنية الجدد والمستقلين منهم، وإلى قصته مع القُدود الحليّة، وإلى رغبته في إرساء قواعد الأغنية السوريّة، وعلاقته مع الإعلام والصحافة، وكثير من النقاط المهمّة واللافتة في مسيرة حياته وتجربته في هذا المجال.

إبراهيم جودت من أهم الملحنين في سورية وأدعو نقابة الفنانين إلى تكريمه

أغنيات وطنية غناها بعض المطربين الشباب ومن بينهم أغنية كتبتها لابنتي سمر عبد العزيز، وللغناته سهام إبراهيم، وللفنان ياسل خلف.

• عاشتك مؤلفة من أفراد يُعتون بالفن، كيف تصف لنا أجواء بيتك؟

كتب المرحوم جان ألكسان مرة في العام ١٩٨٠: من زار حلب ولم يزر بيت الفنان نظمي عبد العزيز فكانه لم يزر حلب. أحب هذه العبارة كثيراً فقد كان بيتي في حلب مقصداً لكل الفنانين من سورية وخارجها، فأجواء البيت مزيج من الشعر الذي أقدمه ومن الموسيقى التي يعزفها أخو زوجتي نزار موره في، ودائماً الأصدقاء يجتمعون في بيتي في جلسات كثيرة جميلة، وقد تأثر أولادي بهذه الأجواء وأنا فسحت لهم المجال، فابنتي سمر إضافة إلى صوتها الجميل تكتب الأغاني، وريم أتمنت بعالم التمثيل والإخراج، ولكن كل ذلك جاء بعد أن أتموا دراستهم في الجامعة، وكان هذا هو شرطي عليهم قبل أن يطرقوا باب الفن، وهو ما حصل فعلاً.

• نصيحة للأجيال الجديدة التي ترغب في ارتياد عالم الفن؟

كونوا صادقين مع أنفسكم، ففي الفن الكذب لا يمكن أن يعيش.

نظمي عبد العزيز في سطور

عمل في النشاط المسرحي بين تأليف وتمثيل وإخراج منذ العام ١٩٥٢ في مدينة إربل.

ألف فرقة «الشعلة» المسرحية التي قدمت مسرحيات عديدة منها: طبيب على الرغم من نفسه، فجر الحرية، البخل.

ألف فرقة للاستعراضات الغنائية والرائية مع الفنان عدنان أبو الشامات في حلب عام ١٩٦٢.

قدم عدداً من البرامج في إذاعة حلب خلال ١٩٧٠ - ١٩٧٢ ومنها: نسمة من بلادي، لحظات مرحة.

كتب في زاوية «حديث عابر» في جريدة الجماهير بين عامي ١٩٨٨ - ١٩٩٢ وهي زاوية نقدية فنية.

شارك في عدد من المسلسلات السورية منها: الزبيا، الحقد الأبيض، خان الحرير، قلوب خضراء.

صدر له ديوان شعري «عنوان كل قصائدي عيناك» في العام ٢٠٠١، ويحضر الآن لإصدار الثاني.

في رصيده ٣٠٠٠ أغنية موزعة بين قصائد الشعر وأغنيات عاطفية ووطنية ودينية، مسجلة في إذاعات حلب ودمشق وبغداد وصوت العرب والأردن وبي بي سي وتونس والمغرب والجزائر وليبيا.

من المطربين الذين غنوا من أشعاره نذكر: صباح فخري، نجيب السراج، والياس كرم، شادي جميل، صفوان العابد، فهد يكن، سمارة السمارة، برهان فهد، حمزة شكور، عمر سمريني، نبيل ناجي وغيرهم.

ومن الطربيات: مها الجابري، ربا الجمال، كروان، سهام إبراهيم، كنانة الصقير، سمر عبد العزيز، نوال سمعان، أمل عرفة، ميراي مصطفى، شام الكريدي، عازار حبيب، نعيم حمدي، خوري، وغيرهم.

أغنية «لا إنت حبيبي» كانت من أجمل الأغنيات إلى قلبي، فاحمّر وجهها، وحاولت أن تردّ علي، لكنها لم تستطع، وأصبنا بحالة من الصمت أنا وهي، وبقينا كذلك حتى نهاية الجلسة.

واليوم أقول إذا تجلت السماء علينا فيروز، وإذا أقبل موج العطر علينا فهو فيروز، فيروز هي الاختلاف وهي الصلاة النقية في حياتنا.

• كتبت أغنية للسيدة أم كلثوم، وكيف حصل ذلك؟ كان وزير الثقافة الأسبق في سورية، فوزي كيالي، عاشقاً للسيدة أم كلثوم، وقد زارها في بيتها أثناء سفره إلى مصر. وطلب منها أن تقيم حفلة في سورية. وعندما جاءت سورية في العام ١٩٥٥ طلب مني الوزير فوزي كيالي، وهو صديق لي، أن أكتب أغنية خاصة لأم كلثوم، فعلاً كان ذلك، وقد نشرتها في ديواني الأول، وكلماتها:

وأنت أمامي
أعطي شرودي بليط اهتمامي
بعينيك شيئاً يثير اهتمامي
وأبحث عبر دروب الحكايا
أبق الحنايا
أعطي شرودي بليط انتسامي
وأذكر في عرفتك يوماً
لقلبت يوماً
ولكن كوجه بقلب الزحام
وتمّ إهداؤها الأغنية، لكن توفيت ولم تغنّها. فيما بعد أخذ الأغنية الفنان نجيب السراج، ولحنها، وغناها وسجلها في إذاعة حلب.

• ماذا عن الفنانة نجاة الصغيرة؟ كان من الممكن أن تغني الفنانة نجاة الصغيرة من كلماتي أيضاً، وذلك من خلال صديقي الصحفي عبد الرحمن فرفور، الذي أطلعها على قصيدة لي، وأعجبت بها كثيراً، لكن لم أعلم لماذا لم يتم غنائها فيما بعد.

• هل من عتب على الصحافة والإعلام؟ في رصيدي الكثير من المقابلات الصحفية المكتوبة، والمصورة، والإذاعية، ولكن اليوم بعد أن ألقى نظرة على كل ما قدمته أعتب على الإعلام، فهو لم يصفني كما يجب.

في بداية انطلاق الأغنية كان المعتاد والساكن لوين فقط المصري واللبناني، وجميع المطربين السوريين وكتاب الأغنية يغنون ويتكلمون باللهجة المصرية، وأنا من أوائل الأشخاص الذين ناضلوا باتجاه وجود أغنية سورية بهوية خاصة واضحة، وما كتبتّه كان باللهجة السورية فقط، ولم أكتب غيرها أبداً، فأنا واحد من رواد هذه الأغنية وأعتز بذلك، وقد قاومت لأجل ذلك مع صديقي أنطوان المبيض لنبيت وإرساء قواعد الأغنية السورية.

في أحد المنابر (مجلة فنون) كتبت عن مهرجان الأغنية السورية، بأنه فكرة مهمة لدعم هوية الأغنية السورية، ولكن للأسف تحول إلى مهرجان احتفالي فقط، وفي كل يوم منه يعني عدد كبير من المطربين نحو ٣٠ أغنية، فباتوا بلحن من هنا ولحن من هناك، بين عربي وغربي، وبالنتيجة أصبح الطقس احتفالياً، ولا علاقة له بالأغنية السورية. أعتبر أن لي رسالة كبيرة في مجال الأغنية السورية، فكتبت فيها، وناضلت لإرساء قواعدنا، ولوجودها، على حين اكتأغفيري وتراجع وذهب ليلبحث عن مصلحته. أما ضمن الأزمة فلا يمكن أن ألوم أحداً بل ساهمت بكتابة

معهم، فكانوا يشبهوني بصفاتهم وأخلاقهم وإنسانياتهم، ومن لبنان غنى من كلماتي الفنانة: دلال الشمالي، وأغاريد، ومي بيروني، ونزهة يونس، ووداد صاحبة الصوت الملم جداً، والذي لم يتكرر في تاريخ الأغنية العربية، وعلى الرغم من ذلك لا يعرفها الكثيرون، وهي زوجة الموسيقي توفيق الباشا. كان عبد الوهاب يوزرنا من مصر ليتفق معها على الغناء من ألبانه ولأسميا التي غنتها السيدة أم كلثوم. وتعلق الناس بصوتها في تلك الفترة، وقد تتلمذ الفنان سمير حلمي على صوتها أيضاً. وقد جاءتني إلى حلب وسجلت مجموعة كبيرة من كلماتي، أما من مصر فلم أتعامل مع مطربها، فقط كان هناك تعامل الفنانة فايزة إبراهيم التي زارتنا في حلب وسجلنا لها مجموعة من الأغنيات في الإذاعة.

• غنى الفنان الياس كرم من قصائدك، وحققتما نجاحاً كبيراً ولاسيما أغنية «تبيهي صباحاً وتألقي». فماذا تحدثنا عن علاقته بك؟ الفنان الياس كرم صديق مقرب، وأحبّ صوته، والحنان، لم يسرحني صوته، وقد سجلت له سهراته التي جمعنا في حلب كلها في ٢٣ تسجيلاً، لكن في الفترة الأخيرة خفّ نشاطه لظروفه الخاصة، ثم انتقل إلى بيروت، ومنها إلى أميركا، وبعدها انتقلت العلاقة، لكنني أحفظ في الذاكرة كثيراً من المواقف والذكريات الجميلة معه، كنت أتمنى لو بقي علي نشاطه، فمذ العام ١٩٨٧ مع نجمه في ساحة الغناء عربياً. وقد أخذت من كلماتي ١٠ أغنيات، منها تبيهي صباحاً وتألقي، وبا أروع ما خلق الله، وأحاور الله في عينيك مبتسماً.

• ماذا عن التجربة مع مطربة الجيل الفنانة ميادة الحناوي؟ عرفت الفنانة ميادة الحناوي قبل أن تدخل عالم الفن، وكان عمرها ١٤ عاماً، ثم سافرت إلى مصر، وعادت إلى سورية، وبقيت العلاقة بيننا، وهي صديقة مقرّبة من المطربة ووداد، التي ذكرتها سابقاً. ارتباط هذه الفنانة الكبيرة بشركة عالم الفن في مصر لم يساعدني في إنجاح التعاون بيني وبينها، وقد اختارت من كلماتي أغنيتين لحينها عدنان أبو الشامات، الأولى كانت: بكل الحب ألقا، والثانية بعنوان: لا سواك في فؤادي، وتدرّبت عليهما فترة من الزمن، لكن لم تتم الموافقة من شركة عالم الفن ومديرها محسن جابر، لذلك لم ينجح هذا التعاون، وبقيت الأغنيتان مدة ٢٠ عاماً، فغنت إحداها الفنانة فانت مصطفي، وأخذت عليها الجائزة الأولى في مهرجان الأغنية السورية ٢٠٠٣ وحملت الأغنية عنوان: لقاء الشوق.

• التقيت السيدة فيروز، وكانت نكزى خاصة جداً، حدثنا عنها؟ التقيت السيدة فيروز في العام ١٩٦٦ بعد أن تعرفت إلى شاب موهوب صاحب صوت جميل يدعى سعيد، وقد زارني في حلب وكان مطرباً في إذاعة دمشق، وغنى من كلماتي، ثم سافر إلى اليونان، وقدم نفسه للفرقة الحاربية وعمل معهم واستقر في لبنان، وكنت في زيارة إلى لبنان في العام ١٩٦٦ فأخذني «سعيد»، وعرفني على المرحومين عاصي ومنصور الرحباني، ثم التقيت السيدة فيروز، وأذكر حينها أنني أصبت بالسكوت وعدم القدرة على الحديث، على الرغم من أن هذه ليست طبيعتي أبداً، وأمامها لم أنطق سوى جملة: هل تعلمين يا ست فيروز أن

• ما قصة القُدود الحليّة، وكيف كتبت وألّفت فيها؟ كانت القُدود في الأصل أغاني دينية، وفيما بعد تمت كتابة كلام على قد الوزن في الأغنية الدينية، لذلك سميت قُدوداً، أي على القُد نفسه، مثل الأغنية الدينية المعروفة «يا إمام الرسل يا سندي» والتي كتب على الوزن نفسه «قدك الميال يا عمري»، وكان هناك كلام سخيف وغير مفضل للسماع، فاستدعاني رئيس الدائرة الموسيقية «ممدوح الجابري» وهو من أرسى قواعد الفن في حلب، وهو من أطلق صباح فخري، وحمام خيري، وسامير حلمي، وغيرهم. وقد استدعاني من أجل كتابة كلام مناسب للقُدود الحليّة، فصحلت عدداً كبيراً منها، وغنى في الكبير صباح فخري عدداً من هذه القُدود، وفيما بعد غنى في موشحات كتبها أيضاً. وامتدت صداقة قوية بيننا، فكتبت تعريف حفلاته لوقت زاد على أربع سنوات، وكنت دائماً موجوداً في نوادي حلب التي حملت أجمل أجواء الغناء الرافي، وكنت في كل حفلة أقدم تعريفاً للقُدود، ولأغنيات التي يقدمها الفنان صباح، وكان ذلك بطلب منه.

• نتحدث في ذكرياتك مع مها الجابري وكروان ووداد وغيرهم من المطربات اللواتي غنّين من كلماتك؟

كان في صديقة مقربة جداً في الفنانة سحر، أما الفنانة مها الجابري فكانت زميلة تواصلت معها لدى زيارتي لدمشق، وكان هناك لقاءات مُثيرة بيننا مع مجموعة من الأصدقاء، منهم الملحن عدنان أبو الشامات، لكن القرب الحميمي كان مع الفنانة سحر، والفنانة كروان، وأيضاً جميلة سمعان، وبسمة، وأسماء كثيرة غيرهن. جمعنتي صداقة وعشرة مع كل من غنى من كلماتي، والكلمات التي كتبها كانت من وحيي، ولا يمكن أن أمنحها لأي كان، بل كانت تتناسب مع أشخاص تعاملت

• ما العوامل الأولى التي جعلتك قادراً على اقتحام عالم الكتابة في القصيدة والأغنية؟ هي عوامل كثيرة فإضافة إلى مهنة التدريس في اللغة العربية مدة ٣٠ عاماً، كانت القراءة العامل المهم والواضح في تجربة الكتابة، فقد كنت في الصفوف الأولى من الدراسة أجمع خرجتني لأستأجر الكتب والروايات مثل روايات الجيب وكتب الهلال في فترة الخمسينيات، وكذلك في متابعة أفلام السينما، وقد قرأت شوقيات الشاعر الكبير أحمد شوقي في مرحلة الطفولة، لأكتب فيما بعد تجربتي الشعرية الأولى التي أطلقت عليها اسم «القطعات»، تشبهاً بالشوقيات، ضمن تحدي الطفل وأفكاره، لكنها كانت خطوة مهمة في ٦ قصائد. في تلك الفترة أيضاً كتبت قصيدة وأرسلتها إلى مجلة الدنيا، وكانت تصدر في دمشق، وكان رئيس تحريرها الأديب عبد العزيز العطرني، ونشرت حينها بأسماء غير حقيقية مثل: «منير صادق» وغيره.

• المحلّة الأولى كانت مع الفنان سمير حلمي في العام ١٩٦٦ الذي غنى من كلماتك، فماذا تذكر لنا من هذه البداية؟ تعرفت إلى الفنان سمير حلمي والفنان إبراهيم جودت قبل زيارة الإذاعة، وفي أثناء هذا اللقاء طلبا مني «سمير وإبراهيم» أن أسعجها شيئاً مما أكتب، فألقيت قصيدة جديدة كنت قد أنجزتها حديثاً في تلك الفترة، وهي أغنية «لو ضاع عمري». وقد لحنها فيما بعد إبراهيم جودت وغناها سمير حلمي، وبهذه المناسبة أدعو نقابة الفنانين في سورية إلى تكريم الفنان والملحن الكبير إبراهيم جودت، فهو من أهم الفنانين في بلننا إذا لم يكن في صدارتهم. فقد كرمت النقابة عدداً مهماً من الملحنين في سورية أمثال عدنان أبو الشامات، وعبد الفتاح سكر، وغيرهما، وذلك بإصدار طوابع خاصة بهم، وأرجو أن يتكرر ذلك مع هذا الاسم المهم جداً في تاريخ الأغنية السورية.

• ما الذي يبقى في ذهن المتلقي أكثر؟ هي القصيدة المكتوبة باللهجة المحكية أم القصيدة الفصحى؟ القصيدة الجميلة هي التي تبقى وتسكن قلوب الناس وتعاشيم، فعندما يشعر المتلقي بأن هذه القصيدة مكتوبة له، وتروي حكايته، عندها سيردها بنفسه وأنها شيء يخصه، فأغنية «شوب يصعب علي» التي غنتها الفنانة الراحلة مها الجابري، والتي كتبت كلماتها، بقيت حية في بال كل محب منذ ٥٤ عاماً إلى اليوم، وستبقى. مدعو الشعر والكتابة في الأغنية كثر، هم يؤلفون كلاماً من دون أن يشعروا فيه، وهذا عيب وتسلق. عندما أكتب قصيدة غنائية أجدّها تأتي إلي، وربما أكون في الطريق أو في فترة تناول الغذاء أو في زيارة، فلا موعّد لقدمها، فأترك كل شيء وأهم كتابتها، لأن الشعر موهبة يجب العناية بها، ومن أغنية كتبها إلا ولها حكاية لدي، فلم أكتب شيئاً لمجرد رغبة الكتابة، بل هناك ما يستدعي كتابتها.

• ألا يزعجك أن يُكرس الكاتب كجندي مجهول في صناعة الأغنية؟

منذ البدء يتمّ تجاهل اسم كاتب الأغنية والملحن، وقد ناضلت كثيراً في إذاعة حلب حتى تغير هذا الطابع، فعلاً كان هناك تجاوب، فتمّ ذكر اسم الأغنية، ومن كتبها، ومن لحنها، إلى جانب اسم المطرب، لكن في إذاعة دمشق لم يتجاوبوا مع هذا المطلب أبداً، لكن مع مرور الوقت كسر هذا الحاجز، وبدأت إذاعة دمشق الاهتمام بهذا الموضوع كما في إذاعة حلب.

• ماذا عن شعراء الأغنية الجدد؟

أفاجأ اليوم ببروز أسماء من كتاب الأغنية، تحت مسمى الشاعر الكبير فلان! وهذا دون بنخر في أدينا، ولاسيما النثر، فأقرأ اليوم كثيراً من النصوص لا علاقة لها بالفن والإحساس، وأفكارها غير مفهومة مطلقاً. الشاعر جورج جرداق الذي كتب أغنية (هذه ليبتني) وغنتها السيدة أم كلثوم، قال في الشعر المنثور: يجب أن نكتب عليه بأنه شعر، حتى نعرف بأنه كذلك، وحتى لا نخلط بينه وبين شركة تصنيع الأحذية «باتا».

عناية به، ونصحه مع هؤلاء الشباب المقبلين على الكتابة أن



... ومع دريد لحام



نظمي عبد العزيز



نظمي عبد العزيز مع عائلته